مقدمة المترجم

يُمثل اختيار المادة المُراد ترجمتها لمن يقوم بهذه المهمة المرحلة الأصعب، ذلك أن المُترجِم يجد نفسه في حيرةٍ من أمره عما يجب ترجمته، ويضع أمام عينيه العديد من المعايير التي ينبغي عليه مراعاتها عند مباشرته هذا الأمر. ومع القلة العددية للمواد المُترجمة إلى اللغة العربية من لغات أخرى، تصبح مسؤولية المترجم أكبر، وحيرته أشد. وبحكم التخصص ومن خلال اطلاعي المتواصل على ما يشهده حقل اكتساب اللغة الثانية من تغير نوعي في الفترة الأخيرة؛ كان قراري بترجمة هذا الكتاب الذي قامت بتأليفه الدكتورة ماريشا جونسون، والذي يمثل لبنةً مهمة في هذا الحقل. ويأتي على رأس قائمة المسوغات التي دفعتني لمهمة ترجمة هذا المُؤلَّف التطور النوعي في مجال اكتساب اللغة الثانية الذي شهد خلال الخمسين عاماً الماضية تحولاتٍ نوعيةً لافتةً، جعلت منه علماً قائماً بذاته. هنا ينبغي الإشارة إلى أن ما يميز هذا الحقل هو أنه يتسم بالقدم والحداثة في آنٍ واحد؛ ذلك أن القدرة على اكتساب وتعلم أكثر من لغة كانت منذ القدم ولا تزال موضع طرح لكثير من التساؤلات من قبل العديد من العلماء من مختلف المشارب والتخصصات فيما يتعلق بالكيفية التي يتأتى للفرد من خلالها الحصول على مثل هذه القدرة وهو ما أدى إلى تعدد العلوم التي استقى منها هذا الحقل معطياته وأسسه النظرية والتطبيقية. لقد تميز هذا الحقل بوجود العديد من العلماء

المنتمين لمختلف التخصصات كعلم الإناسة[1] والاجتماع والتربية وعلم النفس ممن اهتموا كثيراً بالإجابة على السؤال المتعلق بكيفية الاكتساب اللغوي وشرح آليات حدوثه. هذا الاهتمام كان ثنائي التأثير؛ فقد كان إيجابي التأثير في أنه أثرى هذا الحقل كثيراً غير أنه أدى سلباً إلى خلق الكثير من اللغط واللبس والتنافر بين مختلف الأفكار المُستقاة من علوم عدة وهو ما أدى إلى عدم الوصول إلى رؤية واحدة يمكن الاتفاق عليها فيما يخص النظريات التي يقوم عليها هذا الحقل. علاوة على ذلك، فإن حقل اكتساب اللغة الثانية لم يزل بعد مفتقداً إلى استقلاليته الكاملة كعلم قائم بذاته متميز بطرقه البحثية ونظرياته المتينة وخط مسيره الواضح فالتخلص من التركة التي جاءت مختلف العلوم (بما لكل علم من خصائص وطرق بحث ودراسة ومناهج نظرية) يحتاج إلى بعض الوقت. وهو أيضاً حقل يتصف بحداثته كون أن الاهتمام به بدأ في التغير النوعي والكمي حديثاً وهو ما وضع اكتساب اللغة الثانية على بدايات طريق التحول وبشكل تدريجي إلى علمٍ مستقلٍ له طابعه البحثي والتأليفي الخاص به خلال الخمسين سنة الماضية.

وثاني المسوغات هو أن المُؤلِفة تقدم في هذا الكتاب نموذجاً جديداً لاكتساب اللغة الثانية؛ وهو نموذج حواريٌ في طابعه يقوم على الجمع بين المنظور العقلي والمنظور الاجتماعي ويأخذ بعين الاعتبار والأهمية كلاً من عمليات النمو المعرفي الداخلية والخارجية للمتعلم وهو ما يضيف إلى علم اكتساب اللغة الثانية بعداً جديداً. هذا النموذج الذي تقترحه المؤلفة في هذا الكتاب يمزج بين نظرية فيجوتسكي الثقافية- الاجتماعية ونظرية باختين الأدبية وهي تدمج هاتين النظريتين وتوظفهما مع بعضهما نظراً للدور التكميلي والتعاضدي الذي تقوم به كل نظرية مع الأخرى؛ ففي

(١) ذلك العلم المختص بدراسة الإنسان من حيث الأصول والمعتقدات والطبائع والعادات والتطور.

الوقت الذي تقوم فيه نظرية فيجوتسكي على ضرورة التفاعل الحواري الكلامي مع فرد آخر والتعرض لمعطيات كلامية في سبيل إيجاد ما قمتُ بترجمته على أنه "منطقة النمو المقارب" و إحداث النمو المعرفي المطلوب وبالتالي اكتساب اللغة، فإنها، أي نظرية فيجوتسكي، لم تحدد طبيعة وخصائص هذا التفاعل وهو الفراغ الذي تُوظّف المؤلفة نظرية باختين الأدبية ومفهوم تصيير التغاير اللغوي حوارياً لسده. ولا تكتفي المؤلفة بتقديم الإطار النظري لمثل هذا النموذج بل إنها تورد تطبيقات عملية محسوسة على أرض الواقع يتم توظيفها من قبل المدرسين فيما يخص آليات التدريس والتقييم داخل الفصل الدراسي.

وهي في سعيها للإتيان بمفهوم جديد في علم اكتساب اللغة الثانية تقف كثيراً مع النماذج الحالية المُعتد بها وتقدم تحليلها النقدي الضافي المُؤسس على أرضيةٍ صلبةٍ فيما يتعلق بمختلف هذه النماذج التي تقوم على أسس سلوكية ومعرفية ومعالجة المعلومات. ونستطيع من خلال الإطلاع على تمهيدها النقدي معرفة الفوارق المحددة بين العمليات الذهنية والاجتماعية للمتعلم من جهة وبين الكفاية والإنجاز اللغوي التي ترسمها هذه النماذج من جهة أخرى. وتجعلنا المؤلفة من خلال قراءة هذا الكتاب وما يحتويه من تحليل نقدي أكثر إلماماً ويقيناً بالمثالب التي تعتري مختلف النماذج المستخدمة حالياً في علم اكتساب اللغة الثانية.

أما منطلقي الثالث من وراء ترجمة هذا الكتاب فهو يقيني الثابت بأن علم اكتساب اللغة الثانية أصبح أكثر من أي وقتٍ مضى في أشد الحاجة لسبر أغوارٍ جديدةٍ والخروج من بوتقة رؤىً معينة تم فرضها طوال السنين الماضية وكأنها ثوابت لا ينبغي نقدها أو المساس بها. ولعل واحدةً من أبرز جماليات هذا الكتاب تتجسد في أن مؤلفته تعبر عن آرائها بكل صراحة منطلقة من حجج مقنعة وكأنها تمثل صوت نسبة لا بأس

بها من المتخصصين في اكتساب اللغة الثانية ممن ساورتهم الشكوك بخصوص النماذج الحالية وترددوا في التعبير عن رأيهم المخالف لما هو معتاد في هذا الحقل نتيجة السيطرة الواضحة لأصوات معينة. إن حقل اكتساب اللغة الثانية في جانبه العملي يمثل مجالاً خصباً لمن يقومون بالتطبيق وأقصد بذلك مدرسي اللغة الثانية ممن لهم احتكاك مباشر ومتواصل مع متعلمي اللغة كي يكون لصوتهم صدىً ولآرائهم أثراً ولملاحظاتهم وقعاً عند وضع الأسس النظرية لهذا العلم. وتتبدى الحاجة للأصوات الجديدة أن تلعب دوراً أهم في هذا العلم في أوساط مدرسي اللغة الثانية ممن يُعدون متكلمين غير أصليين لتلك اللغة كون أنهم أكثر احتكاكاً وتماساً بمتعلمي اللغة الثانية وأعلم من غيرهم بخصائصهم وحاجاتهم وقدراتهم وخلفياتهم الاجتماعية واللغوية والمعرفية والتربوية.

أخيراً أجدني ممتناً وشاكراً لمؤلفي العديد من المصادر المُعجمية المتنوعة التي تم توظيفها في ترجمة هذا الكتاب ويأتي على رأس القائمة الأستاذ نبيل الزهيري والدكتور محمد الخولي وأخيراً وليس آخر أستاذنا الدكتور حمزة بن قبلان المزيني. هنا لابد من الإشارة إلى مسألة بحث مهمة ينبغي الالتفات إليها وهي عدم وجود مرجعية واحدة لترجمة مختلف المصطلحات اللغوية فالملاحظ هو تعدد خيارات الترجمة لكثير من المصطلحات. ولعل المستقبل يحمل لمن لهم رغبة بالتصدي لمهمات ترجمة أكثر في هذا الحقل تطورات مرجعية تكفيهم عناء التنقل بين ترجمات متعددة لمصطلح واحد.

أسأل الله الكريم أن يجعل في هذا الترجمة ما يفيد المختصين وغير المختصين وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والمثوبة على قدر الجهد وأن يجعل هذا الكتاب من العلم الذي نُؤجر عليه يوم نلقاه.

المترجم

مقدمـــة المؤلفـة
Introduction

يهدف هذا الكتاب إلى تحقيق أمرين أثنين: تعريف القارئ بنظرية ليف فيجوتسكي (Lev Vygotsky) الثقافية – الاجتماعية وكذلك تعريفه بنظرية ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) الأدبية واللتين تمثلان الأساس لإطار بديل للمجالات النظرية والبحثية والتدريسية والتقويمية في علم اكتساب اللغة الثانية. أما الأمر الثاني فهو مناقشة الانحياز صوب الاتجاه المعرفي الموجود حالياً في نظريات و أبحاث علم اكتساب اللغة الثانية.

وفي رأيي فإن نظريتي باختين وفيجوتسكي مجتمعتين تقدمان لنا إطاراً فعالاً لعلم اكتساب اللغة الثانية المتميز بطابعه التوسعي المستمر، وتكمن قوة هذا الإطار الجديد في قدرته على توحيد الآراء المتباعدة بخصوص اكتساب اللغة الثانية والتي لطالما كانت مصدر إحباط للطلبة الذين يرغبون في أن يصبحوا مدرسي لغة إنجليزية كلغة ثانية.

إن الطابع النظري التجريدي والتضاد في التعليلات للعديد من المواضيع المهمة في مجال اكتساب اللغة الثانية يسهم في إيجاد ما يشبه الفصل بين أولئك الذين يقومون

بالتنظير[1] والذين يقومون بالتطبيق. إضافة إلى ذلك، فإن الطابع الكمّي لمعظم الدراسات في حقل اكتساب اللغة الثانية يعزز هذا الإحساس بوجود ما يشبه الفصل بين المُنظِّرين والممارسين عبر إرسال إشارة خاطئة مفادها أنه ما لم يتضمن بحث الشخص نوعاً من التجربة والإحصائيات الاستنتاجية فإن مساهمة هذا الشخص في فهم علمية اكتساب اللغة الثانية هامشية ولا أهمية لها. ولذلك فإن كثيراً من المدرسين يرون أن دورهم في هذا المجال لا قيمة له ويتم التحكم به من قبل المُنظِّرين والباحثين أصحاب النماذج النظرية الجامدة التي تفتقد إلى الجانب التطبيقي في عيون هؤلاء المدرسين الذين يترددون كثيراً في الأخذ بأفكار المُنظِّرين والباحثين.

وبهدف إيجاد تغيير في طبائع العلاقة بين الباحثين والمطبقين، ينبغي حدوث تحول نظري أساسي في مجال اكتساب اللغة الثانية؛ وقد نادى البعض مسبقاً بضرورة تفعيل دور المدرسين بشكل أكبر (فان لير، ١٩٩٦ كليرك، ١٩٩٤) (Van Lier, 1996 & Clarke, 1994) غير أنها نداءات نظرية تفتقر إلى الجانب التطبيقي. وعلى الرغم من أننا جميعاً قد نتفق على أن تقوية دور المدرسين أمر مهم تأخر استحقاقه طويلاً، إلا أن هناك هوّة عميقة بين الاعتراف بمثل هذا الأمر وتطبيقه بشكل حقيقي على واقع الحياة الفعلي.

إنني أؤكد على أن الفصل الحالي بين أولئك المشتركين في عملية التنظير في مجال اكتساب اللغة الثانية وبين الذين يقومون بعملية التدريس والتقييم داخل الفصل الدراسي مردّه إلى النماذج النظرية التي ينتمي إليها معظم الباحثين في مجال اكتساب اللغة الثانية والمتمثلة في التقاليد العلمية المعرفية والتجريبية التي تبناها علم اكتساب اللغة الثانية من العلوم المعرفية الأخرى كعلم الأحياء والكيمياء، وقبل ذلك كله علم

---

(١) وضع النظرية.

النفس المعرفي. وكما سنرى في الجزء الأول من هذا الكتاب فإن النقاش والشروح الخاصة بأكثر المواضيع أهمية في مجال اكتساب اللغة الثانية منحازة بشكل كبير باتجاه التقاليد البحثية العلمية المعرفية.

ومن بين الأمور المرتبطة بشكل كبير مع هذا التقليد ذي السيادة الواضحة هو التدفق أحادي الاتجاه للمعلومات (أي المعرفة) من النظرية إلى التطبيق إذ يتم أولاً تطوير المعلومات الجديدة عبر المُنظِّرين ومن ثم تجد بعض هذه المعرفة النظرية طريقها إلى المواقع التطبيقية والفصول الدراسية أو المجال التقييمي. وفي هذا النموذج يُعتبر المدرسون بشكل عام على أنهم مُتلقون سلبيون[1] لنتائج الأبحاث في مجال اكتساب اللغة الثانية. وبسبب الطبيعة الخاصة بالنماذج النظرية التي تقوم عليها معظم أبحاث ونظريات اكتساب اللغة الثانية، يتم التعامل مع تعاون المدرسين أو التغذية الراجعة التي يتم الحصول عليها منهم على أنها غير ضرورية وليست بذات أهمية.

إن أحد أهداف هذا الكتاب هو توثيق بداية ظهور وتطور هذا التقسيم للطريقة المتبعة حاليا في تطوير وتطبيق المعرفة الخاصة بعلم اكتساب اللغة الثانية والتي يمكن شرحها كما في الشكل رقم (١,١). ففي هذا النموذج، يدّل الخط المنقط في السهم الأول على أنه ليس بالضرورة أن تكون كل المعرفة المكتسبة قد تم تمريرها بشكل مستقيم من الصندوق رقم (١) إلى الصندوق رقم (٢) ومن ثم إلى الصندوق رقم (٣). ويشير الشكل إلى وجود تسلسل هرمي للقوة وإلى وجود تحكم في المعرفة ضمن مجال اكتساب اللغة الثانية و أنه في نطاق هذا النظام التسلسلي الهرمي يتم التعامل مع كل جزء على أنه مستقل عن الأجزاء الأخرى.

---

(١) لا دور لهم سوى تلقي المعلومات فقط.

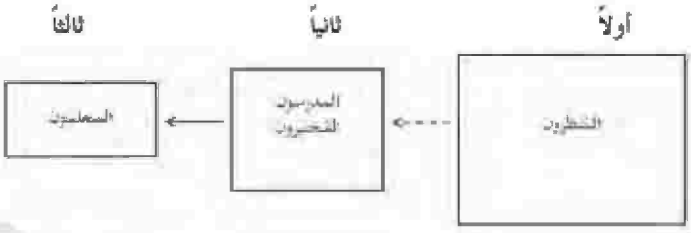

الشكل رقم (١,١). النموذج الحالي لانتقال المعرفة في مجال اكتساب اللغة الثانية.

إن هناك قواعد وتنظيمات تميز كل جزء في هذا التنظيم فكلما كان الصندوق أكبر، كانت قوته وتأثيره أعظم على الأجزاء الأخرى. ولكي يتم تغيير هذا النسق الثابت من التفاعل والتبعية المشتركة، تتبدى الحاجة لتبدل جديد في مجال اكتساب اللغة الثانية، وهنا أرغب في اقتراح نموذج جديد من التفاعل الذي يكون فيه لجميع الأطراف أوضاعٌ وحقوقٌ وامتيازاتٌ متساويةٌ متمثلةٌ في الشكل رقم (١,٢) الذي يقدم نمطاً جديداً في طبيعة التفاعل.

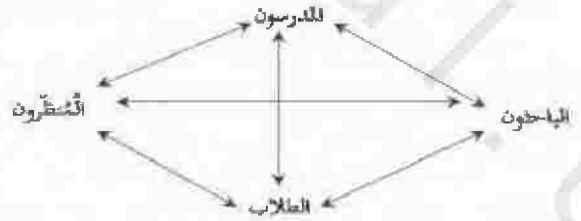

الشكل رقم (١,٢). النموذج الحالي لانتقال المعرفة في مجال اكتساب اللغة الثانية.

وإذا ما كان هدفنا هو الوصول إلى تلك الطبيعة المتشاركة والمتعاضدة لتطوير وتطبيق المعرفة الخاصة باكتساب اللغة الثانية، فإن هناك حاجة لوجود مشاركة ودور تفاعلي أكبر للمدرسين والطلاب والباحثين والمُنظِّرين. مثل هذا النظام التعاضدي قد

لا يمكن الوصول إليه إلا في حال اكتساب أصوات المدرسين والطلاب للمكانة والاعتبار اللذين تحظى به أصوات الباحثين والمُنظِّرين. غير أن هذه المساواة بين الأصوات لا يمكن تحقيقها في ظل نماذج معالجة المعلومات والنماذج المعرفية الحالية في مجال اكتساب اللغة الثانية، ومن دون إطار نظري جديد يعمل على تقوية دور جميع الأطراف المشاركة فإن كل مناقاشاتنا بالنسبة للأدوار الأكبر للمدرسين والطلاب في عملية بناء المعرفة الخاصة باكتساب اللغة الثانية لا معنى لها لأنها يجب أن تحصل على موافقة الطرف الأكثر تأثيراً في الشكل رقم (١,١) المتمثل في الباحثين والمُنظِّرين.

وبشكل مبسط، فإنني أومن أنه من دون تحول نظري رئيس، ومن دون وجود نموذج جديد ومختلف على نحو جذري، فإنه ليست هناك إمكانية لتغيير العلاقة بين النظرية الخاصة باكتساب اللغة الثانية والتطبيق. وإنني أؤمن أن هذا النموذج الجديد القائم على نظرية فيجوتسكي الثقافية – الاجتماعية ونظرية باختين لتصيير التغاير اللغوي حوارياً سيسمح لنا بالانتقال من حقبة "اللامساواة" و"الملكية" إلى حقبة جديدة من الديمقراطية والتمثيل المتساوي لجميع الأطراف.

كما أنني أؤمن أن هذا التحول الرئيس لفهمنا للكيفية التي ينبغي من خلالها إجراء الأبحاث في مجال اكتساب اللغة الثانية سيؤدي إلى ظهور الكثير من النتائج المثيرة والمفيدة وسيسمح ذلك بتحريك حقلنا في اتجاه جديد مليء باحتمالات لا تحصى وتحديات جديدة لا غنى عنها لتطوير المجال بشكل عام.

أما الهدف الثاني من وراء هذا الكتاب فهو تسليط الضوء على مثالب النظريات والنماذج الحالية في مجال اكتساب اللغة الثانية، والتي تنتمي بشكل رئيس إلى النماذج المعرفية ونماذج معالجة المعلومات. هذه النماذج تركز بشكل كبير على عملية الإتيان بالمعنى اللغوي حيث يتم تجاهل الجوانب *الاجتماعية* لعملية الإتيان بالمعنى.

إن معظم نماذجنا الحالية في مجال اكتساب اللغة الثانية ذات طابع أحادي الاتجاه إذ إنها تتجه من المُدخل إلى الحاصل إلى نظام التطور وصولاً إلى المُخرج. وهذه النظريات تميل إلى أن تتبع مجاز مايكل ريدي (Michael Reddy, 1979) الأنبوبي الخاص بنقل المعرفة حيث يقوم المتحدث بترميز الرسالة ويقوم المتلقي بفك شفرة الرسالة المُرسلة. وفي هذه النماذج يتم التعامل مع التفاعل على أنه تفاعل يحدث داخل عقل الشخص فيما بين الكفاءات اللغوية المختلفة. كما أن هذه النماذج تشجع على ذلك الاعتقاد الخاطئ بوجود واقع أحادي الأبعاد محكوم بقواعد وشروط كلّية وهي أيضاً تشجع على ذلك الشعور الخاطئ بالثقة والأمان لدى دارسي اللغة الثانية الذين يُجبرون على الاعتقاد بأنه حالما يتمكنون من اكتساب هذه القواعد الكلّية سيصبح بإمكانهم استخدام اللغة بشكل كامل ومتناغم على أرض الواقع الخاصة باللغة المُستهدفة.

وعلى الرغم من محاولة بعض الباحثين الاعتراف بأهمية السياق الاجتماعي، فإن نماذج اكتساب اللغة الثانية الحالية تتعامل مع هذا السياق بشكل فوقي وتجريدي بحت ويتم تقرير أهميته من خلال إضافة صندوق آخر -كفاية لغوية أخرى- إلى النموذج القائم على المعرفة.

إن نماذج اكتساب اللغة الثانية الحالية تفرق بشكل واضح بين الكفاية اللغوية (أي المعرفة باللغة) والإنجاز اللغوي (أي استخدام القدرة اللغوية على أرض الواقع). كما أن هذه النماذج تُميّز وبشكل دقيق وصارم بين العمليات العقلية والعمليات الاجتماعية لدى المتعلم. وهي تركز على دراسة وتعليل العمليات العقلية الكلّية الخاصة بالكفاءة اللغوية في اللغة الثانية وهكذا فإن الإنجاز اللغوي قد تم إنزال مرتبته إلى حدود البحث والتساؤل لا أكثر.

إنني أتقدم بمنهج جديد يتم التعامل فيه مع اكتساب اللغة الثانية لا على أساس الكفاية بل من خلال الإنجاز. إن جوهر اكتساب اللغة الثانية لا مكان له في العقل

البشري بل في التفاعلات الحوارية ذات النطاق المحلي التي تحدث في العديد من المواضع والسياقات الثقافية والاجتماعية والمؤسسية، كما أن هذه النهج يركز اهتمامنا على تفحص العلاقات الجدلية ذات الطابع الحيوي التي تحدث على المستوى الجمعي (على مستوى المجتمع) مع تلك التي تحدث على المستوى الفردي (مستوى الشخص الواحد). إنها تفحص التحولات الجدلية لأحد المستويات في اتجاه المستوى الآخر. وينادي هذا المنهج الجديد بتحول التركيز بعيداً عن الاهتمام بالكفاية اللغوية ونقله في اتجاه التفاعل الجدلي بين الكفاية والإنجاز.

وعلى الرغم من أن هذا المنهج مبني في أساسه على نظرية فيجوتسكي الثقافية- الاجتماعية ونظرية باختين لتصيير التغاير اللغوي حوارياً فإنه أيضاً يأخذ بعين الاعتبار والأهمية أصوات علماء آخرين مثل رينجر روميتفيت، و جيمس غيبسون، وجورجين هابيرماس، ولودفيج فيتينغشتاين، وجيروم برونر، و لوي فان لير، وروم هاريس، وغرانت غيليت، وبيير بوردو

Ragnar Rommetveit (1968, 1974, 1987, 1992), James Gibson (1979), Jurgen Habermas (1987), Ludwig Wittgenstein (1958, 1980), Jerome Bruner (1990, 1996), Leo van Lier (1996), Rom Harre and Grant Gillett (1994), and Pierre Bourdieu (1991).

وهؤلاء العلماء لهم آراؤهم المتشابهة صوب دور المجتمع والثقافة والمؤسسات في تطور المعرفة الإنسانية، فهم جميعا ينتمون إلى رؤية حوارية وثقافية- اجتماعية للتفكير الإنساني واللغة والتواصل. وأفكار هؤلاء العلماء العاملين في مجالات علمية مختلفة مرتبطة ببعضها بشكل كبير إذ يمكن تتبع منشأها إلى أعمال العالمين الروسيين الفذين في القرن العشرين: ليف فيجوتسكي (١٨٩٦ -١٩٣٤)، وميخائيل باختين (١٨٩٥ -١٩٧٥).

وباختصار، فإن الكتاب يدعو إلى الأخذ بإطار جديد اجتماعياً وحوارياً، إطار موجود كجزء لا يتجزأ من السياقات الثقافية – الاجتماعية والمؤسسية متعددة

الجوانب، وحتى يمكن لهذا الواقع الاجتماعي متعدد الجوانب أن يعمل بشكل صحيح، فإنه من الضروري اكتساب العديد من الأصوات وقبولها. هذه الأصوات المتعددة ليست محددة بشكل عام بل بشكل محلي. وفي هذا النهج الجديد المقترح، فإن الهدف الأولي من حقل اكتساب اللغة الثانية ينبغي أن يكون دراسة وتقديم العلل الخاصة بالعمليات التي تؤدي إلى اكتساب العديد من الأصوات المحلية التي لا تعكس المحيطات والأوضاع الاجتماعية التخيلية والمُعرَّفة مسبقاً بل التي تعكس السياقات الثقافية – الاجتماعية المحلية وكذلك الواقعية، أي تلك المحيطات الاجتماعية التي تؤدي إلى ظهور الكلام، والكلام الذي يؤدي إلى ظهور السياقات الاجتماعية. مثل هذا النهج في التعامل مع النظريات والأبحاث والممارسات التطبيقية الخاصة باكتساب اللغة الثانية قائم على الحوار لا على المناجاة[1] (روميتفيت) (Rommetveit, 1992).

لقد تم تقسيم الكتاب إلى جزأين. وعلى الرغم من أن العديد من نظريات ونماذج اكتساب اللغة الثانية الحالية والرئيسة سيتم وصفها و مناقشتها في الجزء رقم (١) الذي عنوانه "السير في الاتجاه المعرفي"، فإن الهدف من هذا الجزء ليس تعريف القارئ بالمبادئ الأساسية للنظريات والنماذج القائمة، فهناك العديد من المؤلفات التي تهدف بشكل رئيس إلى تحقيق هذا الهدف بالتحديد ومنها على سبيل المثال غاس وسلينكر، كوك، إليس، براون، لارسين فريمان ولونغ، وأخيراً شاروود سميث

(Gass and Selinker 2001; Cook 1993, 2001; Ellis 1985, 1990, 1994; Brown 2000; Larsen-Freeman and Long 1993; Sharwood Smith 1994).

إن الهدف الأساس من الجزء الأول هو شرح انحياز النماذج الحالية لاكتساب اللغة الثانية بشكل كبير صوب الاتجاه المعرفي والتجريبي، كما أن هذا الجزء ينادي بتطبيق إطار جديد يمكن له أن يعالج هذا الانحياز.

---

(١) حوار الشخص مع ذاته.

يتكون الجزء الأول من خمسة فصول. الفصل الأول يقدم رؤية شاملة لثلاثة تقاليد بحثية علمية رئيسة: السلوكية والحاسوبية - المعرفية والحوارية. أما الفصل الثاني فيقدم نظرة تاريخية عامة لعلم اكتساب اللغة الثانية كمجال علمي. والهدف من هذه النظرة التاريخية العامة هو تقديم شرح لنشوء حقلنا هذا وشرح الاتجاه العام لميله صوب القواعد والمبادئ الموجودة في حقول علمية أخرى. أو بمعنى آخر فإنه في أعقاب المدرسة السلوكية، تحول علم اكتساب اللغة الثانية نحو علم النفس المعرفي بحثاً عن المسار الذي سيسلكه. أما النهج العقلاني لشرح عملية اكتساب اللغة الثانية فيمكن فهمه من خلال تطبيق نظريات العالم نعوم تشومسكي Noam Chomsky في علم اكتساب اللغة الثانية. أما المنشأ المعرفي واللغوي لنظرية اكتساب اللغة الثانية وأبحاثها فسيتم تقديمه ومناقشته في الفصل الثالث. أما الفصل الرابع فيناقش تأثير نموذج معالجة المعلومات على الجانب النظري والبحثي لعلم اكتساب اللغة الثانية، فيما سيتم استعراض العديد من نماذج الكفاءة التواصلية ومناقشتها في الفصل الخامس. والهدف من هذا الفصل هو التركيز على المعالجة المعرفية للتفاعل التي تنادي بها هذه النماذج والتي يتم فيها التعامل مع المتعلمين على أنهم المسؤولون الوحيدون عن أدائهم.

وبالرغم من أن هذه النماذج تطرح مفاهيم التفاعل والسياق الاجتماعي، فإنه يتم وصف السياقات الاجتماعية من خلال الملامح الثابتة المحددة بشكل مسبق. كما أن هذه النماذج لا تهتم بإمكانية أن يُوجِد السياقُ لغةً وإمكانية أن تُوجِد اللغةُ سياقاً. ويتم التعامل مع السياق الاجتماعي نظرياً على أنه جزء منفصل يمكن التعرف عليه ووصفه وقياسه قبل الفعل الكلامي الذي ربما حدث أو لم يحدث داخل سياق اجتماعي ما. كما يتم الحديث عن الكفاية التفاعلية في هذا الفصل (يونغ، هي ويونغ، هول). (Young, 1999. He & Young, 1998. Hall, 1993,1995) هذا بالإضافة إلى

الحديث عن خصائص الكفاية التفاعلية التي تقف في تضاد واضح وصريح مع الكفاية التواصلية مثل الطابع المحلي للكفاية اللغوية للشخص و البناء المشترك (جاكوبي وأوكس) (Jacoby and Ochs, 1995). غير أنه وكما هو الحال مع الكفاية التواصلية، تركز الكفاية التفاعلية على كفاية الشخص أكثر من تركيزها على أدائه (أي استخدامه للغة على أرض الواقع) وهي التي تمثل بحسب نظرية فيجوتسكي شرطاً أساساً لتطور المعرفة البشرية. وفي رأيي يمكن بسهولة تصنيف المقدرة التفاعلية ضمن نظرية فيجوتسكي الثقافية – الاجتماعية التي تقدم إطاراً أكثر قوة و أعمق أثراً لنظرية اكتساب اللغة الثانية وممارستها التطبيقية مما تقدمه الكفاية التفاعلية.

وكي يكون في الإمكان تعريف القارئ بالمنهج الحواري الجديد، هناك حاجة لمقدمة شاملة وعميقة لأفكار العالمين فيجوتسكي وباختين. ويبدأ الجزء الثاني من الكتاب (منهج حواري إلى اكتساب اللغة الثانية) بمثل هذه المقدمة حيث يقدم الفصلان السادس والسابع نظرة شاملة لنظريات فيجوتسكي وباختين. فيما يحتوي الفصل الثامن على وصف ومناقشة لبعض الدراسات المعروفة التي تهدف لاستقصاء النظرية الثقافية – الاجتماعية في مجال اكتساب اللغة الثانية. أما في الفصل التاسع فأنني أقترح منهجاً جديداً في مجال اكتساب اللغة الثانية – منهجاً قائماً على الحوار – إضافة إلى مناقشة بعض الآثار النظرية والعملية لمثل هذا المنهج. إن الهدف من هذا الفصل هو تقديم مجموعة من التوجيهات النظرية والعملية لإيجاد وفحص وتطبيق الدراسات البحثية، وكذلك الممارسات التدريسية والتقييمية داخل هذا الإطار المُوحّد، إضافة إلى تطبيق العلاقات الجديدة فيما بين الباحثين والمدرسين والطلاب (يُرجى الرجوع إلى الشكل رقم(١,٢).

ونتيجة لطبيعة المواضيع والأفكار المُقدمة القائمة على استمداد جذورها من علوم مختلفة، فإنه بالإمكان توظيف هذا الكتاب كمرجع في مواد اكتساب اللغة الثانية. إضافة إلى مواد طرق تدريس اللغة والتقييم اللغوي.